الرؤيا في القصة القرآنية

دراسة موضوعية

د . علي بن محمد الحمود

كلية الملك عبد العزيز الحربية

ملخص البحث :

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن بعض جوانب الإعجاز في القصة القرآنية ، من خلال دراسة الرؤيا في القصة القرآنية دراسة موضوعية .

ومن خلال تتبعي للقصة القرآنية ظهر أنّ الرؤيا جاءت في القصص القرآني الكريم في سبعة مواضع في ثلاث قصص من قصص الأنبياء - عليهم السلام -، وهي : قصة إبراهيم - عليه السلام - وفيها رأى إبراهيم في المنام أنه يذبح ابنه إسماعيل - عليهما السلام - وقد وردت في سورة الصافات . أما قصة يوسف - عليه السلام - فقد وردت في سورة يوسف ، وجاءت فيها أربع رؤى حيث بدأت القصة برؤية وانتهت بتحققها . أما في سيرة رسول الله محمد - صلى الله عليه وسلم - فجاءت الرؤيا في قصة معركة بدر الكبرى في سورة الأنفال ، وفي قصة صلح الحديبية في سورة الفتح .

وفي هذا المقام ينبغي التنبيه إلى أن القصة القرآنية مصدرها المعرفة الإلهية الحقيقية ، وهي وسيلة من وسائل القرآن الكريم المتعددة في تحقيق الغايات الدينية والتربوية والتعليمية ، أما القصة البشرية فمصدرها الذهن والحس .

مقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :

فهذه الدراسة تهدف إلى الكشف عن بعض جوانب الإعجاز في القصة القرآنية ، من خلال دراسة الرؤيا [1] في القصة القرآنية دراسة موضوعية .

وقد أتاحت لي هذه الدراسة فرصة عظيمة تتمثل في تدبر كتاب الله تعالى ، وإبراز التقصير الواضح من لدن الأدباء المسلمين في الإفادة من براعة القصة القرآنية في الجمع بين الأهداف الدينية والتربوية والقيم الفنية الجمالية ، حيث خاطبت المشاعر والوجدان بلغة فنية جميلة ، وحققت غاياتها بأسلوب فني غاية في الإحكام والإعجاز . ودعوة القاص المسلم إلى الإفادة من القصة القرآنية تعني أن يستفيد من حسن اصطفائها للأحداث ، وطرق عرضها وتوجيهها للأحداث والمواقف ، ورسم الشخصيات المختلفة ، ومن براعتها في اختيار نقطتي البداية والنهاية ، ومن التصوير المحكم للمشاهد والمواقف المتنوعة ، ومن براعة الحوار في مراعاته مطابقة أحوال المتحاورين ، بالإضافة إلى الاستفادة من أسلوب التوجيه المباشر وغير المباشر في القصة القرآنية ، وغير ذلك من القيم الموضوعية والفنية .

وفي هذا المقام ينبغي التنبيه إلى أن القصة القرآنية مصدرها المعرفة الإلهية الحقيقية ، وهي وسيلة من وسائل القرآن الكريم المتعددة في تحقيق الغايات الدينية

---

(١) الرؤيا : ما رأيته في منامك ، وجمعها رؤى . والرّؤيا والحُلم عبارة عما يراه النائم في نومه من الأشياء ، ولكن غلبت الرّؤيا على ما يراه من الخير والشيء الحسن ، وغلب الحُلم على ما يراه من الشر والقبيح ويستعمل كلّ واحد منهما موضع الآخر .

انظر : لسان العرب : لابن منظور : مادة (رأي) ومادة (ح ل م) .

والتربوية والتعليمية ، أما القصة البشرية فمصدرها الذهن والحس .

وطرق عرض الأحداث في القصة القرآنية متنوعة ، ومنها الاعتماد على الرؤيا في سرد بعض الأحداث وتوجيهها ، والتي من خلالها حقّقت القصة القرآنية أهدافها المختلفة ، وتمكنت ببراعة من التأثير في القلوب والعقول على حد سواء .

وعلى الرغم من كثرة الدراسات التي تناولت القصة القرآنية إلا أنني – فيما أعلم – لم أعثر على دراسة مستقلة اتجهت إلى دراسة الرؤيا في القصة القرآنية ؛ ولذا أقدّم هذه الدراسة مستعيناً بالله تعالى ، وراجياً أن تسهم في الكشف عن بعض وجوه الإعجاز في القصة القرآنية .

ومن خلال تتبعي للقصة القرآنية ظهر أنّ الرؤيا جاءت في القصص القرآني الكريم في سبعة مواضع في ثلاث قصص من قصص الأنبياء - عليهم السلام - ، وهي :

١ - قصة إبراهيم - عليه السلام - ، وفيها رأى إبراهيم في المنام أنّه يذبح ابنه إسماعيل - عليهما السلام – [١] .

٢ - قصة يوسف - عليه السلام - في سورة يوسف ، وجاءت فيها أربع رؤى [٢] .

٣ - سيرة رسول الله محمد ﷺ ، وذلك في موضعين [٣] .

وقد اقتضت طبيعة الدراسة إلى تقسيمها إلى مقدمة ، وثلاثة مباحث ، وخاتمة

---

(١) انظر : سورة الصافات : الآيات (١٠٠ - ١١٣) .

(٢) انظر : سورة يوسف : الآيات (٤ ، ٣٦ – ٤١ ، ٤٣- ٤٩) .

(٣) انظر : سورة الأنفال : الآية (٤٣) . وسورة الفتح : الآية (٢٧) .

تحدثت في المقدمة عن أهمية القصة القرآنية ومنزلتها ، والتقصير الواضح من لدن الأدباء المسلمين في الإفادة من براعتها وقدرتها على تحقيق الغايات الدينية والتعليمية والتربوية بأسلوب قصصي فني غاية في الجمال والتشويق والإحكام .

وخصصت المبحث الأول للحديث عن الرؤيا في قصة إبراهيم - عليه السلام - .

والمبحث الثاني تحدثت فيه عن الرؤيا في قصة يوسف - عليه السلام - .

أما المبحث الثالث فكان للحديث عن الرؤيا في سيرة رسول الله محمد ﷺ .

وختمت هذه الدراسة بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدارسة .

وبعد : فأرجو أن تفتح هذه الدراسة المتواضعة الباب لدارسات أخرى تولي القصة القرآنية بعض ما تستحقه من عناية واهتمام ، وأن تكون دافعاً للأدباء المسلمين إلى إبداع قصص إسلامية تستمد موضوعاتها وأصولها الفنية والجمالية من القصة القرآنية .

* * *

المبحث الأول : الرؤيا في قصة إبراهيم – عليه الصلاة والسلام - :

وردت قصة إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - في القرآن الكريم في أكثر من عشرين سورة ، وجاءت في صور شتى من حيث الإطناب والإيجاز ، فوردت في بعض السور بصورة مطولة ، مثل سورتي : (الأنعام و الصافات) ، وفي المقابل جاء ذكرها ذكراً عابراً في السور الأخرى ، مثل سورة (الأعلى) .

وفي سورة الصافات [1] تمثل الرؤيا التي رآها إبراهيم في منامه ، والمتمثلة في رؤيته أنه يذبح ابنه إسماعيل [2] – عليهما السلام – حلقة أو مشهداً من قصة إبراهيم .

وكان إبراهيم - عليه الصلاة والسلام – لمّا هاجر من بلاده ، قد سأل ربه أن يهب له ولداً صالحاً ، فبشره الله تعالى بغلام حليم ، وهو إسماعيل – عليه

---

(١) سورة مكية ، وآياتها (١٨٢) آية .

انظر : تفسير أبي السعود : للإمام أبي السعود محمد بن محمد العمادي : مج ٤ / ج ٧ / ١٨٣ ، دار التراث العربي – بيروت ، بدون تاريخ .

(٢) الذبيح هو الذي أمر الله تعالى إبراهيم – عليه الصلاة والسلام - بذبحه ، وهناك اختلاف في تعيين الذبيح ، بحيث ترى طائفة أنه (إسماعيل) ، وترى أخرى أنه (إسحاق) - عليهما السلام - ، والراجح عند المسلمين أنه إسماعيل – عليه السلام - .

انظر : قصص الأنبياء : لابن كثير : ١٦٦ – ١٧٢ ، تحقيق : عبد المجيد طعمة حلبي ، دار المعرفة – لبنان ، ط ٦ (١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م) .

وانظر : القول الفصيح في تعيين الذبيح ، للحافظ جلال الدين السيوطي ، ومعه كتاب : القول الصحيح في تعيين الذبيح : إبراهيم بن عبد الله الحازمي : ٣٦ – ٦٧ ، مؤسسة الجريسي ، مطبعة سفير – الرياض ، ط ١ (١٤١٢هـ / ١٩٩٢م) .

وانظر : قصة الذبيح : د . فتحي محمد الزغبي : ١٩١ – ٢٠٤ ، دار البشير – طنطا – مصر ، ط ١ (١٤١٥هـ / ١٩٩٤م) .

السلام – ؛ لأنه أول من ولد له على رأس ست وثمانين سنة من عمر الخليل [1] ، قال تعالى : ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ۝٩٩ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ۝١٠٠ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴾ [2] .

واستجاب له الله تعالى ، ووهبه الولد الحليم الصالح الذي يعينه على الدعوة ويؤنس وحدته في غربته ، وما إن شبّ إسماعيل ، وأصبح فتى يشارك والده – عليهما السلام _ في أعباء الحياة ، – حتى رأى إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – في المنام أنه يذبحه ، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ۝١٠٢ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ۝١٠٣ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ۝١٠٤ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ۝١٠٦ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ۝١٠٧ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ۝١٠٨ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ۝١٠٩ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝١١٠ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ۝١١١ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [3] .

واجه إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - عناد قومه ورفضهم دعوته ، بل إنهم عزموا على إحراقه بالنار . لقد تعرض إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – في حياته لمحن متتالية " فتنة إثر فتنة ، ومحنة تتلوها محنة : شيخ هرم ، جالد الأيام

---

(١) قصص الأنبياء : لابن كثير : ١٦٧ . (بتصرف) .

(٢) سورة الصافات : الآيات (٩٩ – ١٠١) .

(٣) سورة الصافات : الآيات (١٠٢ – ١١٢) .

... ، قد كان طول حياته يأمل الولد ، حتى إذا بلغ من الكبر عتياً ، رزقه الله تعالى بغلام وحيد قرت به عينه ، وأشرقت له نفسه ، ثم أُمر بأن يسكنه بوادٍ غير ذي زرع ، ويتركه وأمه في مكان قفر ، ليس به حسيس ولا أنيس ، وامتثل لأمر الله وتركهما هناك ثقة بالله تعالى ، وإيماناً به ، وإطاعة لأمره ؛ فجعل الله لهما من ضيقهما فرجاً ومخرجاً ، ورزقهما من حيث لا يحتسبان ؛ ثم يؤمر بذبح هذا الولد العزيز الذي هو بكره ووحيده ! إنّ هذه لمحنة تنوء بها الجبال الراسيات ؛ ولكن العظائم كفؤها العظماء ، فعلى قدر إبراهيم ، وعلو منزلته ، وعلى مقدار ثبات يقينه ، وكمال إيمانه ، يكون ابتلاؤه واختباره "[1] .

إنّ ما تعرض له إبراهيم – عليه الصلاة والسلام - ابتلاء عظيم ، فكيف يستطيع الأب أن يذبح الابن الذي انتظره طويلاً ؟ ولكن إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – أذعن لأمر ربه ، وأدرك أنّ الرؤيا التي رآها في منامه " إشارة من ربه بالتضحية ، فماذا ؟ إنه لا يتردد ، ولا يخالجه إلا شعور الطاعة ، ولا يخطر له إلا خاطر التسليم ، نعم إنها إشارة ، مجرد إشارة ،وليست وحياً صريحاً ولا أمراً مباشراً ، ولكنها إشارة من ربه ، وهذا يكفي ، هذا يكفي ليلبي ويستجيب ، ودون أن يعترض ، ودون أن يسأل ربه ، لماذا يا ربي أذبح ابني الوحيد ؟ ! ولكنه لا يلبي في انزعاج ، ولا يستسلم في جزع ، ولا يطيع في اضطراب ، كلا إنما هو القبول والرضا والطمأنينة والهدوء "[2] .

---

(١) قصص القرآن : محمد أحمد جاد المولى : ٥٧ ، تحقيق : عبد الرحيم مارديني ، دار أسامة – عمان – الأردن ، بدون تاريخ .

(٢) في ظلال القرآن : سيد قطب : مج ٥ / ٢٩٩٤ – ٢٩٩٥ ، دار الشروق – القاهرة ، ط ٦ (١٤١٨هـ / ١٩٩٧م) .

قامت هذه القصة على الرؤيا ، إذ بدأت برؤيا ، " ورؤيا الأنبياء وحي كالوحي في اليقظة " [1] . وتلا ذلك تصديق إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – هذه الرؤيا ، فعدّها أمراً من الله تعالى ؛ وشاركه ابنه إسماعيل – عليه السلام – في ذلك ، وشجعه على تنفيذ أمر ربه ، وقال له : (افعل ما تُؤمر) . وشرعا بعد ذلك في تحقيقها ، وتنفيذ أمر الله تعالى بكل طمأنينة وانقياد وطاعة وامتثال لأمره تعالى ، وهنا تحققت المعجزة الإلهية ، حيث فدى الله تعالى إسماعيل – عليه السلام – بذبحٍ عظيم .

وهذه القصة بحسب قصرها ، وقيامها على حدث واحد ، وقلة شخصياتها ، وضيق البيئة المكانية والزمانية فيها ، يمكن أن تعدّ – إن جاز لنا التعبير - قصة قصيرة غاية في الإعجاز والإبداع . وفي هذا المقام لا بد من الإشارة إلى أن عرض بعض جوانب القصة القرآنية على بعض معايير القصة البشرية ، لا يعني إخضاعها لها ؛ فهذه المعايير من وضع البشر ، وهي غير ثابتة وقابلة للتغير . والمراد من ذلك دعوة الأدباء المسلمين إلى دراسة القصة القرآنية الكريمة دراسة متأنية لمعرفة جوانب الإعجاز والإبداع فيها ، ومن ثم إبداع قصص إسلامي يستمد موضوعاته وأصوله من القصة القرآنية .

وفي هذا المبحث سيتم الحديث عن بعض القيم الفنية في قصة رؤيا إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – وما آلت إليه ، وعن بعض القيم الدينية والتربوية فيها.

أ – من القيم الفنية في قصة رؤيا إبراهيم – عليه الصلاة والسلام - :

تتحقق في القصة القصيرة ثلاث وحدات ، هي : وحدة الحدث والزمان والمكان ؛ ونظراً لضيق الحيزين الزماني والمكاني ؛ فإنه يُفضل في هذا النوع من

---

(١) الكشاف : للزمخشري : ٤ج / ٥٥ ، دار إحياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي – بيروت – لبنان ، ط١ (١٩٩٧م) .

القصص أنْ يقلّ عدد الشخصيات القصصية . ويضاف إلى ذلك أن صفة التركيز والإيجاز من السمات الرئيسة فيها [١] .

والرؤيا التي رآها إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – في منامه ، وما تلاها من وقائع وأحداث - تمثل نموذجاً فريداً ومعجزاً للقصة القصيرة ؛ فالحدث أو الموضوع الذي قامت عليه القصة واحد ، وعلى جانب كبير من الأهمية والتركيز والإيجاز ، حيث تناول جانباً واحداً ، وهو الرؤيا التي رآها إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – في منامه ، ومن ثم عرضها على الابن الذي يُذعن راضياً قانعاً لأمر الله تعالى .

أما من ناحية المكان والزمان فقد وقع الحدث في حيز مكاني ضيق ، حيث جرت أحداث هذه القصة في مكة المكرمة ، والفترة الزمنية التي تحدثت عنها هذه القصة قصيرة [٢] ؛ لأن خليل الله إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – لم يكن ليتأخر عن تنفيذ أمر الله تعالى ، على الرغم من فداحة الأمر وصعوبته على النفس البشرية ، ولكنه بادر في طاعة الله تعالى ، وشرع في ذبح ابنه .

والحدث في القصة القصيرة ينقسم إلى ثلاث مراحل ، هي : البداية والوسط والنهاية ، " أي أنّه ينشأ بالضرورة عن موقف معين ، ويتطور وينمو بالضرورة إلى نقطة معينة " [٣] ؛ ولكي تتحقق للحدث وحدته العضوية لا بد من قيام علاقة

---

(١) انظر : الأدب وفنونه : د . عز الدين إسماعيل : ١٢١ – ١٢٣ ، دار الفكر العربي – القاهرة ، ط ٨ ، بدون تاريخ .

(٢) انظر : السرد القصصي في القرآن الكريم : ثروت إباظة : ٥٠ – ٥٣ ، نهضة مصر – القاهرة ، بدون تاريخ .

(٣) فن القصة القصيرة : د . رشاد رشدي : ١٨ ، الأنجلو المصرية – القاهرة ، بدون تاريخ .

عضوية وكيان ذاتي بين هذه المراحل [1] .

وتمثل رؤيا إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – وما تلاها من مواقف ، حدثاً متكاملاً له بداية ووسط ونهاية ، إذ بدأت أحداثها برؤيا رآها إبراهيم - عليه الصلاة والسلام – في نومه ، وبدون تردد يسارع في عرض أمر الله تعالى على ابنه ، وهذا العرض على إسماعيل من قبل إبراهيم – عليهما السلام - ، وأخذ رأيه لم يكن " ليرجع إلى رأيه ومشورته ، ولكن ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلاء الله ، فيثبّت قدمه ، ويصبّره إن جزع ، ويأمن عليه الزلل إن صبر وسلّم ، وليعلمه حتى يراجع نفسه فيوطئها ويهوّن عليها ، ويلقى البلاء وهو كالمستأنس به ، ويكتسب المثوبة بالانقياد لأمر الله قبل نزوله ... ، وليكون سنة في المشاورة " [2] .

والوسط يتمثل في استسلام إبراهيم وإسماعيل – عليهما السلام – وانقيادهما وعزمهما على تنفيذ أمر الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴾ [3] أي " صرعه على شقه ، فوقع جبينه على الأرض ، وهو أحد جانبي الجبهة ، وقيل كبّه على وجهه بإشارته كيلا يرى منه ما يورث رقة تحول بينه وبين أمر الله تعالى " [4] .

غلّب إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – أمر الله تعالى على العاطفة الأبوية ، وأقدم على ذبح ابنه بنفس مطمئنة راضية قانعة بقضاء الله وقدره ، والموقف نفسه كان من الابن ، ولكن رحمة الله تعالى شملتهما ، إذ تحقق المراد من هذا الأمر ،

---

(١) انظر : المرجع السابق : ٣٠ .

(٢) الكشاف : ج٤ / ٥٦ .

(٣) سورة الصافات : الآية (١٠٣) .

(٤) تفسير أبي السعود : مج ٤ / ج ٧ / ٢٠١ .

وهو اختبار صبرهما على قضاء الله تعالى ، وتسليمهما لأمره .

أما النهاية ، وفيها تتجمع عناصر الحدث ، فكانت " أروع ما تكون النهاية ، لقد وضع الله تعالى نبيه وابنه في بلاء عظيم يمتحن صبرهما ، حتى إذا أبدياه واضحاً جلياً عفا ، وأعاد الابن إلى أبيه ، والحياة إلى الابن فكلاهما جميعاً في فرح مقيم " [1] ، قال الله تعالى واصفاً موقف إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – وردة فعله : ﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝١٠٤ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [2] ؛ أي " بالعزم على الإتيان بالمأمور به وترتيب مقدماته ، وقد رُوي أنه أمرّ السكين بقوته على حلقه مراراً فلم يقطع ، ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين ، فعند ذلك وقع النداء جواباً لمحذوف إيذاناً بعدم وفاء التعبير بتفاصيله ، كأنه قيل كان ما كان مما لا يحيط به نطاق البيان من استبشارهما وشكرهما لله تعالى على ما أنعم به عليهما من دفع البلاء بعد حلوله ، والتوفيق لما لم يُوفق أحد لمثله ، وإظهار فضلهما بذلك على العالمين ، مع إحراز الثواب العظيم إلى غير ذلك ، (إنّا كذلك نجزي المحسنين) تعليل لتفريج تلك الكربة عنهما بإحسانهما " [3] .

وقد وصف الله تعالى المحنة التي تعرض لها إبراهيم وإسماعيل – عليهما السلام – بالبلاء المبين ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴾ [4] ؛ أي

---

(١) السرد القصصي في القرآن الكريم : ٥٤ .

(٢) سورة الصافات : الآيتان (١٠٤ – ١٠٥) .

(٣) تفسير أبي السعود : مج ٤ / ج ٧ / ٢٠١ .

(٤) سورة الصافات : الآية (١٠٦) .

" الاختبار البين الذي يتميز فيه المخلصون من غيرهم ، أو المحنة البينة الصعوبة التي لا محنة أصعب منها " (١) .

وبعد ذلك أنعم الله تعالى عليهما ، ففدى (إسماعيل) – عليه السلام – بذبح عظيم ، قال تعالى : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ (٢) .

ومن أجل " أن تتحقق للحدث وحدته يجب ألا يقتصر على تصوير الفعل دون الفاعل ؛ لأنّ الفعل والفاعل أو الحدث والشخصية شيء واحد لا يمكن تجزئته ، فإن اقتصر تصويرنا على الفعل وحده لما استطعنا أن نصور الحدث كاملاً ، بل لما استطعنا أن نصور الحدث على الإطلاق ، إذ يجيء ما نكتب خبراً ، وإن كنّا نريد له أن يكون قصة " (٣) .

وهذه القصة قامت على شخصيتين ، هما : الأب إبراهيم ، والابن إسماعيل – عليهما السلام – ، وقد عُنيت القصة برسم هاتين الشخصيتين من الداخل ، ولم تولِ الجوانب الشكلية أيّ اهتمام ؛ وهذا يتفق مع السياق العام لهذه القصة ؛ لأنّ القضية تتعلق بالجوانب الإيمانية العقدية ، والبعد النفسي أقدر على كشف ذلك من رسم الشخصية من الخارج .

وقد كشفت الرؤيا ، وما تلاها من مواقف ، عن بعض الجوانب الإيمانية العميقة الراسخة في شخصيتهما ، وأظهرت اتسامهما بمجموعة من السمات التي تدل على عمق الإيمان ورسوخه في نفسيهما ، ومن أبرزها : قوة الإيمان ، والاستسلام لأمر الله تعالى ، والطاعة والانقياد والخضوع ، والصبر والحلم ،

---

(١) الكشاف : ج ٤ / ٥٧ .

(٢) سورة الصافات : الآية (١٠٧) .

(٣) فن القصة القصيرة : ٥٤ .

والتواضع ، وغيرها من السمات .

من خلال حادثة الرؤيا ، وما تلاها من مواقف ، برزت شخصية إبراهيم و إسماعيل - عليهما السلام- المثالية ، حيث استسلما لأمر الله تعالى ، فجاد الأب بولده الوحيد آنذاك ، والذي انتظره طويلاً ، وضحى الثاني بنفسه ابتغاء مرضاة الله تعالى .

لقد كان إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – " مثالاً في حصافة الرأي ، وحب التطلع إلى اليقين ، والامتثال لأمر الله في تفانٍ وإخلاص ، والرفق والحلم ، والرأفة والحنان ، وقد تجمع في شخصه من جليل الخصال ما تفرق في غيره من الناس على مدى الأجيال فكان أمة برأسه " [1] .

وأيّ استسلام وطاعة وامتثال وحلم وصبر أعظم من الشروع في ذبح الابن الوحيد الذي انتظره ستة وثمانين عاماً ، لمجرد رؤيا رآها في منامه ، ولم يقل إنها مجرد رؤيا ، بل عدّها أمراً من الله تعالى ، وعليه أن يستجيب دون اعتراض أو انزعاج ؛ وبذلك تجلت هذه السمات الحميدة في شخصيته ؛ مما جعله يغالب عواطفه الأبوية ، ويشرع في ذبح ابنه ، ويلقيه على الأرض ، ويمرّ السكين على حلقه ؛ إرضاء لله تعالى وخزياً للشيطان الرجيم .

رسم القرآن الكريم البعد النفسي لشخصية إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – من خلال الطريقة غير المباشرة (التمثيلية) ، وفي هذه الطريقة يتيح الكاتب " للشخصية أن تعبّر عن نفسها ، وتكشف عن جوهرها ، بأحاديثها وتصرفاتها الخاصة " [2] .

---

(١) سيكولوجية القصة في القرآن : د . التهامي نقرة : ٣٦٤ ، الشركة التونسية للتوزيع _ تونس (١٩٧٤م).

(٢) فن القصة : د . محمد يوسف نجم : ٩٨ ، دار الثقافة – بيروت ، بدون تاريخ .

لقد أبدعت القصة القرآنية الكريمة في تصوير الشخصية وهي تعمل ، ونجد ذلك في الرؤيا التي رآها إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – ، إذ عبّرت المواقف والتصرفات الصادرة عنه عن عمق الإيمان الراسخ في قلبه ، ولنأخذ قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴾ [1] - مثالاً لبراعة القصة القرآنية في تصوير رسوخ الإيمان وعمقه في شخصية إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – ؛ ففي قوله تعالى (وتلّه للجبين) مشهد ينبض بالحركة ، ويعبر بجلاء عن الإقدام بكل صبر وجلد على القيام بأمر الله تعالى دون تردد .

ومن جهة إسماعيل – عليه السلام – فأيّ حلم وصبر وخضوع أعظم من حلمه وصبره على الذبح ، وقبوله ذلك الأمر بكل رضاً وطمأنينة ؟

وجاء تأكيد القرآن الكريم على اتسامه بالحلم بالطريقتين : غير المباشرة (التمثيلية) ، والمباشرة (التحليلية) ، وفي هذه الطريقة يعمد الكاتب إلى رسم " شخصياته من الخارج ، يشرح عواطفها وبواعثها وأفكارها وأحاسيسها ، ويعقّب على بعض تصرفاتها ، ويفسر البعض الآخر . وكثيراً ما يعطينا رأيه فيها صريحاً دونما التواء " [2] .

وتمثلت هذه الطريقة في قوله تعالى : ﴿ فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ﴾ [3] ، حيث وصف الله تعالى إسماعيل – عليه السلام – بالحلم بصورة مباشرة .

أما الطريقة غير المباشرة فتمثلت في موقفه من الرؤيا التي رآها والده في المنام ،

---

(١) سورة الصافات : الآية (١٠٣) .

(٢) فن القصة : ٩٨ .

(٣) سورة الصافات : الآية (١٠١) .

وفيها برزت شخصية إسماعيل – عليه السلام – الذي كان حينذاك ابن ثلاث عشرة سنة ، من خلال استسلامه لأمر الله تعالى بكل انقياد وخضوع ، ودون تردد ، وظهر حلمه وصبره على قضاء الله وقدره ، وأعان والده على تنفيذ أمر ربه ، فعلى الرغم من " غضاضة سنه وتقلبه في حدّ الطفولة ، كان فيه من رصانة الحلم ، وفسحة الصدر ما جسّره على احتمال تلك البلية العظيمة ، والإجابة بذلك الجواب الحكيم ... " [1] . وتمثل جوابه في قوله تعالى : ﴿ ... قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [2] .

وفي قوله (إن شاء الله) يظهر بوضوح اتسام (إسماعيل) – عليه السلام – بالتواضع ؛ لأنه علّق صبره على أمر الله تعالى بمشيئته تعالى ، وقرنه بها .

ومن نافلة القول في هذا المقام الإشارة إلى أنّ الحديث عن توافر القيم الفنية للقصة القصيرة في قصة الرؤيا التي رآها (إبراهيم) – عليه الصلاة والسلام – وما تلاها من مواقف – لا يعني إخضاع القصة القرآنية للقواعد الفنية للقصة ، والتي هي من وضع البشر ، بل إنّ مثل هذه الدراسة الفنية تهدف ، فيما تهدف ، إلى إبراز بعض وجوه الإعجاز في القصة القرآنية ، حتى يتسنى للكتاب المسلمين الإفادة منها ، ومن ثم قيام اتجاه إسلامي في القصة يستمد موضوعاته وأصوله من القصة القرآنية .

ب- من القيم الدينية والتربوية في قصة رؤيا إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- :

تعدّ القصة القرآنية وسيلة من وسائل الدعوة إلى توحيد الله تعالى ، والإيمان

---

(١) الكشاف : ج ٤ / ٥٥ .

(٢) سورة الصافات : من الآية (١٠٢) .

بالدعوة ، وتثبيت أسس العقيدة الإسلامية في النفوس ، وتعمل – أيضاً - على تثبيت الرسول ﷺ والمؤمنين على الحق من خلال عرض صور مختلفة لما تعرض له الأنبياء السابقون وأتباعهم من أذى وعذاب ، وهي وسيلة ناجعة من وسائل غرس الأخلاق الفاضلة في النفوس ، من خلال تقديم القدوة الحسنة الماثلة في قصص القرآن الكريم [1] .

والتجربة التربوية دلت " على أنّ أشد المواعظ الدينية نفاذاً إلى القلوب ما عُرض في أسلوب قصصي يحمل على المشاركة الوجدانية للأشخاص ، والتأثر بالأحداث ، والانفعال بالمواقف " [2] .

وفي قصة الرؤيا التي رآها إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – وما نجم عنها من مواقف – تبرز بجلاء العديد من القيم الدينية والتربوية العظيمة التي ينبغي أن يستفيد منها المسلم في حياته ، ومنها :

١- العقيدة هي المقياس :

في قصة إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – مثال حي على جعل العقيدة السليمة وطاعة الله تعالى المقياس والمرجع في كلّ الأمور ، إذ يعدّ أمر الذبح الذي جاء في الرؤيا ابتلاءً عظيماً من الله تعالى لخليله وابنه – عليهما السلام - ، حيث اختار الأول ذابحاً والآخر مذبوحاً . فلم يترك إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – حب الولد ، الذي انتظره طويلاً ، يصرفه عن طاعة الله تعالى . وكان إبراهيم – عليه الصلاة والسلام - قبل ذلك قد ترك زوجه هاجر ، وابنه الرضيع والوحيد

---

(١) انظر : قصص القرآن الكريم : فضل حسن عباس : ٣٥ – ٣٦ ، دار الفرقان – الأردن ، ط ١ (١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠ م) .

(٢) سيكولوجية القصة في القرآن : ٥٤٤ .

آنذاك إسماعيل – عليه السلام - في وادٍ غير زرع ؛ استجابة لأمر الله تعالى ، حيث تركهما " عند البيت ، عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد ، وليس بمكة يومئذٍ أحد ، وليس بها ماء ، فوضعهما هنالك ، ووضع عندهما جراباً فيه تمر ، وسقاء فيه ماء .ثم قفّى إبراهيم منطلقاً ، فتبعته أم إسماعيل ، فقالت : يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس به أنيس ولا شيء ؟ فقالت له ذلك مراراً ، وجعل لا يلتفت إليها ، فقالت له : أ لله أمرك بهذا ؟ قال نعم ، قالت : إذن لا يضيعنا ، ثم رجعت " [1].

كان هذا الأمر ابتلاء من الله تعالى لإبراهيم – عليه الصلاة والسلام - وزوجه وقد أبديا رضاهما وانقيادهما لله تعالى ، ولكن الامتحان الأصعب كان في أمر ذبح ذلك الابن بعد أن بلغ المبلغ الذي جعله يساعد والده في أمور الحياة ، فما كان من إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – بما آتاه الله تعالى من فضل وحلم وصبر إلا أن يستجيب لأمر الله تعالى خاضعاً مستسلماً منقاداً لإرادته وحكمه ، وشرع في تنفيذ ذلك الأمر بلا تردد أو تأويل ؛ مُغلّباً العاطفة الدينية على كل العواطف الدنيوية ، ومنها عاطفة الأبوة ، ومُؤْثراً طاعة الله تعالى على حب الابن .

يُستفاد من هذا الموقف العظيم أنّ على المسلم جعل طاعة الله تعالى فوق كل الاعتبارات الدنيوية .

٢- التأدب مع الله تعالى :

كان ردّ إسماعيل على أبيه إبراهيم – عليهما السلام – عندما عرض عليه أمر الرؤيا التي رآها - يتمثل في قوله : (ستجدني إن شاء الله من الصابرين) ، قال

---

(١) قصص الأنبياء : لابن كثير : ١٦٢ .

تعالى : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (١) .

نجد في جواب إسماعيل – عليه السلام – قمة التأدب مع الله تعالى ، حيث قرن صبره على ذلك الأمر العظيم بمشيئة الله تعالى ، وفي هذا أدب مع الله تعالى ، ومعرفة حدود قدرته وطاقته في الاحتمال ، والاستعانة بربه على ضعفه ، ونسبة الفضل إليه في إعانته على التضحية ، ومساعدته على الطاعة ، ... ، ولم يأخذها بطولة ، ولم يأخذها شجاعة ، ولم يأخذها اندفاعاً إلى الخطر دون مبالاة ، ولم يظهر لشخصه ظلاً ولا حجماً ولا وزناً ، إنما أرجع الفضل كله لله إنْ هو أعانه على ما يُطلب إليه ، وأصبره على ما يُراد به ... " (٢) .

إنّ في تعليق الصبر بمشيئة الله تعالى قمة الأدب مع الله تعالى ، والتواضع ، وهضم النفس حقها ، وطلب المعونة من الله تعالى ، وهذا ما ينبغي أن يكون ديدن المسلم في كلّ أمور حياته .

٣ - طلب الذرية الصالحة :

جاوز إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – الثمانين عاماً ولم يرزقه الله تعالى ذرية ؛ فتوجه إلى الله تعالى سائلا أنْ يهبه الذرية ، ولم يكتفِ بطلب الذرية ، بل دعا الله تعالى أن تكون ذريته من الصالحين ، قال تعالى على لسان إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – : ﴿ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (٣) . واستجاب له الله تعالى

---

(١) سورة الصافات : الآية (١٠٢) .

(٢) في ظلال القرآن : مج ٥ / ٢٩٩٥ .

(٣) سورة الصافات : الآية (١٠٠) .

فجعل ذريته من الأنبياء ، وجعله أبا الأنبياء .

وفي هذا المقام أرى أنه من المناسب " التنبيه إلى أن بعض الناس لا يلقون بالاً ، عند طلبهم الأولاد من الله تعالى ، لكونهم صالحين ؛ بل يكتفون في دعائهم بأن يرزقوا أولاداً ، كما أن بعضهم لا يدركون أهمية سلاح الدعاء لصلاح الأبناء ، ولا يستفيدون منه إلا إذا ابتلوا بفسادهم ، ولكن خليل الرحمن – عليه الصلاة والسلام – على عكس هؤلاء وأولئك ، فقرن دعاءه من ربه – عز وجل – للأولاد بأن يكونوا صالحين ، وذلك قبل وجودهم ؛ لأنه لا خير في أولاد إنْ لم يكونوا صالحين . إنّ فاقدي الصلاح من الأولاد يكونون مصدر تأسف وحسرة وضيق وحزن وهم وغم لآبائهم ، بل قد يكونون كذلك سبب وبال عليهم في الدنيا والآخرة " [1] .

٤- ترسيخ مبدأ مشاورة الأبناء وإشراكهم في أعمال الخير :

ما كان من إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – بعد أن تلقى أمر ربه بذبح ابنه إلا أن عرض عليه الأمر ؛ طالباً منه إبداء الرأي في ذلك الأمر العظيم . وليس المراد من عرض الأمر عليه ، وطلب رأيه تخييره في الأمر ، فهذا أمر حتمي من الله تعالى ، وليس لهما خيار فيه . والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام لم شاوره في أمر لا خيار لهما فيه ؟

والجواب عن هذا السؤال يتمثل في أنه عرض عليه الأمر " ليكون أطيب لقلبه وأهون عليه من أن يأخذه قسراً ، ويذبحه قهراً " [2] . وليعلم صبره ، وليشركه

---

(١) إبراهيم عليه الصلاة والسلام أباً : د . فضل إلهي : ٨ ، إدارة ترجمان الإسلام – باكستان ، مطبعة سفير – الرياض ، ط ١ (١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م) .

(٢) قصص الأنبياء : لابن كثير : ١٦٨ .

بحلاوة التسليم والطاعة والانقياد لأمر الله تعالى ، ويشركه – أيضاً – في أجر طاعة الله تعالى ، إنْ هما استجابا لأمره تعالى . وهذا ما كان بالفعل ، حيث خضعا معاً لأمره تعالى ، وانقادا له بكل رضا وطاعة وانقياد ، وشرعا – بالفعل – في تنفيذ أمره .

نستدل من موقف إبراهيم مع ابنه – عليهما السلام – على أهمية مشاورة الأبناء ، وإشراكهم في تحمل المسؤولية ، ليعتادوا تحمل أعباء الحياة ، " وهذا على خلاف ما عليه بعض الآباء ، فإنهم لا يعرفون إلا إصدار الأوامر ، وإلقاء التعليمات ، ولا يلقون بالاً لما يدور في خواطر من تُصْدر لهم الأوامر ، وتُلقى عليهم التعليمات من الأبناء .إن هذا الأسلوب يجانب الصواب .

ومن المعلوم أن من الأمور الأساس في الدعوة والتربية التعرف على أحوال المخاطبين ومراعاتها في حدود الشرع ، وأن إهمال هذا الأمر يُخشى أن يكون سبباً لفشل الدعوة والتربية " [1] .

٥ – ترسيخ مبدأ الثواب :

يُعدّ مبدأ الثواب والعقاب وسيلة ناجعة من وسائل التربية التي تسهم في بناء شخصية الفرد . وفي الرؤيا التي رآها إبراهيم – عليه الصلاة السلام – وما نجم عنها من مواقف ، ترسيخ لمبدأ الثواب ، حيث كافأ الله تعالى خليله وابنه – عليهما السلام – على انقيادهما لأمره ، وشروعهما في تنفيذه دون تردد ، بأن حقن دم إسماعيل – عليه السلام – وفداه بذبح عظيم ، قال تعالى : ﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ [2] . وبعد ذلك وصف الله تعالى إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – بأنه من المحسنين ، وبشّره بإسحاق - عليه السلام - ، قال تعالى : ﴿ سَلَٰمٌ

(١) إبراهيم عليه الصلاة والسلام أباً : ٤٦ .

(٢) سورة الصافات : الآية (١٠٧) .

عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [1] .

لقد كافأ الله تعالى خليله على انقياده وطاعته بأن حقن دم ابنه ، وبشّره بذرية من الأنبياء الكرام – عليهم السلام أجمعين - ، وأي ثواب أعظم من هذا ؟

* * *

(١) سورة الصافات : الآيات (١٠٩ – ١١٢) .

المبحث الثاني : الرؤيا في قصة يوسف – عليه السلام – :

جاءت قصة يوسف – عليه السلام – في القرآن الكريم مكتملة الفصول ، وبكل تفصيلاتها في سورة واحدة ، حيث بدأت أحداثها وانتهت في سورة يوسف وهي " تمثل النموذج الكامل لمنهج الإسلام في الأداء الفني للقصة بقدر ما تمثل النموذج الكامل لهذا المنهج في الأداء النفسي والعقيدي والتربوي والحركي أيضاً . ومع أنّ المنهج القرآني واحد في موضوعه وفي أدائه ، إلا أنّ قصة يوسف تبدو وكأنها المعرِض المتخصص في عرض هذا المنهج من الناحية الفنية للأداء " (١) .

وهي سورة مكية ، وعدد آياتها (١١١) " نزلت بين عام الحزن بموت أبي طالب وخديجة سندي رسول الله ﷺ ، وبين بيعة العقبة الأولى ثم الثانية التي جعل الله فيهما لرسول الله ﷺ وللعصبة المسلمة معه ، وللدعوة الإسلامية – فرجاً ومخرجاً بالهجرة إلى المدينة ، وعلى هذا فالسورة واحدة من السور التي نزلت في تلك الفترة الحرجة في تاريخ الدعوة ، وفي حياة الرسول ﷺ والعصبة المسلمة في مكة " (٢) .

وجاء في سبب نزولها أقوال عدة ، منها : أنها " تسلية الرسول ﷺ عمّا يفعله به قومه بما فعلت إخوة يوسف – عليه السلام – به ، وقيل : إنّ اليهود سألوه ﷺ أن يُحدّثهم بأمر يعقوب وولده ، وشأن يوسف وما انتهى إليه فنزلت ، وقيل : إنّ كفار مكة أمرتهم اليهود أن يسألوا رسول الله ﷺ عن السبب الذي أحلّ بني إسرائيل بمصر ، فسألوه ، فنزلت " (٣) .

---

(١) في ظلال القرآن : مج ٤ / ١٩٥١ .

(٢) المرجع السابق : مج ٤ / ١٩٤٩ .

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : للعلامة الألوسي البغدادي : ج ١٢ / ١٧٠ ، دار إحياء التراث العربي – لبنان ، ط ٤ (١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) .

وقد بدأت قصة يوسف في القرآن الكريم بتمهيد تحدث عن مكانة هذه القصة فقال تعالى مخاطباً رسوله محمداً ﷺ : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ (١) .

وقد راعت هذه القصة الفترة الحرجة التي كان يعيشها الرسول ﷺ وأصحابه – رضوان الله عنهم أجمعين - ، بل والدعوة الإسلامية بصورة عامة ، وجاءت تسليهم وتعزيهم ، وتدعوهم إلى الثبات والصبر ، وتذكّرهم بقدرة الله تعالى على نصرهم وتفريج كربتهم ، كما فعل مع يوسف – عليه السلام - .

وكشفت هذه القصة – أيضاً – عن جوانب عدة من النفس البشرية ، وشملت شتى مناحي الحياة : الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

وهي من أطول قصص القرآن الكريم ، وفيها تتشعب الأحداث وتسير سيراً تصاعدياً مشوّقاً ، بحيث يتعرض يوسف - عليه السلام – لضروب مختلفة من الفتن والمحن ، ولكنه – بفضل الله تعالى – يخرج من كل محنة أكثر قوة ، إذ أخرجه الله تعالى من الجُبّ ليعيش في قصر العزيز ، وأخرجه من السجن ليجعله على خزائن الأرض ، وبعد أن عاش وحيداً وغريباً جمعه في نهاية القصة بأهله .

وفي هذه القصة – أيضاً – تكثر الشخصيات ، وتتسع البيئة الزمانية والمكانية ونظراً لتشعب أحداثها وكثرة شخصياتها واتساع دائرتها فإنها يمكن أن تعدّ – إن جاز لنا التعبير ، و بحسب تقسيم الأدباء والنقاد – قصة طويلة (٢) .

وبالإضافة إلى ذلك فإنها تعدّ قصة دائرية اعتمدت على الرؤيا في دفع أحداثها

---

(١) سورة يوسف : الآية (٣) .

(٢) انظر : قصص القرآن الكريم : فضل حسن عباس : ٣٧١ .

وتتابعها ، حيث بدأت برؤيا رآها (يوسف) – عليه السلام – في منامه ، وفي نهايتها تحققت تلك الرؤيا ، " وبذلك استدارت القصة وعادت من نهايتها إلى بدايتها ؛ ليتحقق ما رآه من أحداث في منامه ، تلك الأحداث التي أوجزتها الرؤيا أو اقتصرت على آخرها "[1] ، قال تعالى : ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[2] .

وبين البداية والنهاية وقعت ثلاث رؤى ، كانت الرؤيتان اللتان رآهما صاحبا يوسف – عليه السلام – في السجن الجسر الذي عبر من خلالهما إلى الملك ؛ ليؤول له الرؤيا التي رآها في منامه ، والتي عجز عن تأويلها العارفون بتأويل الأحلام . ولم يكتفِ يوسف – عليه السلام – بتأويل رؤيا الملك ، بل قام بوضع طريقة واضحة وناجعة للتعامل مع الأزمة الاقتصادية التي ستتعرض له البلاد ، وكان تأويله _ عليه السلام _ للرؤيا ، ووضع التصور المناسب للتعامل معها – سبباً في خروجه من السجن ، وإظهار براءته ، ومن ثم تمكينه في الأرض ، وتبوئه المكانة الرفيعة لدى الملك ، والذي كافأه بجعله على خزائن الأرض .

لقد علّم الله تعالى يوسف – عليه السلام – تأويل الأحاديث ، قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ

(١) البنية السردية في القصص القرآني : طول محمد : ٣٠ ، ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر ، بدون تاريخ .

(٢) سورة يوسف : الآية (١٠٠) .

وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [1] . ومعنى (يعلمك من تأويل الأحاديث) ؛ " أي يفهمك من معاني الكلام ، وتعبير المنام ما لا يفهمه غيرك " [2] .

ويظهر في هذه القصة الاهتمام الكبير بتأويل الرؤى ، حيث طلب كلّ من يوسف – عليه السلام – وصاحبي السجن والملك – تأويل رؤاهم ، وهذا الأمر يعطينا صورة واضحة عن ذلك العصر ، وأن العلم الذي علّمه الله تعالى يوسف – عليه السلام –كان يتفق مع روح ذلك العصر وجوّه [3] .

وهذا العلم من نعم الله تعالى الكثيرة عليه ، " وهنا نقف لحظة لنعلم قيمة العلم الذي زود الله به يوسف ، وزعم كثير من الناس أنه علم لا يُجنى من ورائه فائدة ذات قيمة . إنّ الله سبحانه علّم يوسف تأويل الأحاديث ، وهو يعلم أنه السلاح الذي سيكون سبباً في إخراجه من محنته ، بل سيكون سبباً في تبوئه المكانة الرفيعة ، وتمكينه في الأرض ... " [4] .

وفي هذا المبحث سيتم بسط الحديث عن الرؤى الأربع التي تضمنتها قصة يوسف – عليه السلام - .

- الرؤيا الأولى :

بدأت قصة يوسف – عليه السلام – بالرؤيا التي رآها في منامه عندما كان في مقتبل عمره ، وقد أصابته الحيرة ؛ فتوجه إلى أبيه باحثاً عن تأويلها ، وعلم

---

(١) سورة يوسف : الآية (٦) . وانظر : سورة يوسف : الآيتين (٢١) ، و (١٠١) .

(٢) قصص الأنبياء : لابن كثير : ٢٤٣ .

(٣) انظر : في ظلال القرآن : مج : ٤ / ١٩٩٣ .

(٤) نظرات في أحسن القصص : د . محمد السيد الوكيل : ج ١ / ٣٤٤ ، دار القلم – دمشق ، دار الشامية – بيروت ، ط ١ (١٤١٥هـ / ١٩٩٤م) .

يعقوب – عليه السلام – بما آتاه الله تعالى من حكمة بمضمونها ، وطلب منه كتم أمره عن إخوته ؛ خوفاً من حسدهم ، قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ۝ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (١) .

حملت هذه الرؤيا إشارات واضحة إلى ذلك المصير الذي آل إليه يوسف – عليه السلام – في نهاية المطاف ، حيث ألمحت إلى أنّ الله تعالى قد أعدّه لأمر عظيم وادّخر له خيراً كبيراً ، إذ شرّفه بالجمع بين النبوة والملك ، وبين خيري الدنيا والآخرة ، وزوده بمعرفة تأويل الأحاديث .

وكانت هذه الرؤيا ليوسف – عليه السلام - بمثابة التهيئة النفسية له لقبول ما سيأتي بعد ذلك ، حيث أشارت إلى المكيدة التي سيتعرض لها - عليه السلام – من قبل إخوته . أما ليعقوب - عليه السلام – فكانت بشارة من الله تعالى له بنبوة ابنه ، وبنجاته من كيد الكائدين ، وفي الوقت ذاته زادت من حب يوسف - عليه السلام - في قلبه وخوفه عليه .

ولم تكن هذه الرؤيا " من الرؤى المعتادة التي تتيسر لكثير من النّاس ، ولكنها كانت رؤيا تستعلي على طبيعة البشر ، وبالتالي فقد كانت إرهاصاً لأمر عظيم

(١) سورة يوسف : الآيات (٤ - ٦) .

يتحقق على يدي ذلك الابن البار ، لم تشر الرؤيا إلى ما سيحدث ليوسف – عليه السلام - من البلاء ، وكأنها طرحته وراء ظهرها ، ولم تعتبره شيئاً يستحق الذكر ؛ لأنّ ما نزل بيوسف من البلاء لا يُذكر إلى جانب ما صار فيه من النعيم والرخاء " [1] .

وفي هذا المقام تجدر الإشارة إلى أنّ بداية قصة يوسف – عليه السلام – بهذه الرؤيا أضفى عليها مزيداً من التشويق والإثارة ، والذي يعدّ من أبرز سمات القصة الجيدة ، ومن أهم البواعث على جذب انتباه القارئ وشحذ همته لمتابعة الأحداث .

قامت الأحداث في قصة يوسف – عليه السلام – على الرؤيا التي رآها يوسف في منامه ، وعملت هذه الرؤيا على تطوير الأحداث ، ودفعها إلى الوصول إلى تحقيقها في النهاية ؛ " فرؤيا يوسف التي أفصحت رموزها في مستقبل أمره عن واقع غيبي يتحقق ، ليست حديثاً للنفس عمّا يشغلها ؛ لأنّه – عليه السلام – ما كان يدور بخلده حين رأى رؤياه أن مستقبلاً كهذا ينتظره . وليس تفريجاً عن كبت يحسّ به ؛ لأنّ ذلك لا يكون لمن هو عادة في مثل سنه " [2] . وبذلك كانت هذه الرؤيا " هي مفتتح القصة ومفتاحها " [3] .

- الرؤيتان الثانية والثالثة :

بعد الرؤيا الأولى التي رآها يوسف – عليه السلام – في بداية القصة ، والتي كان لها أثرها الواضح في مسيرة حياته ، وفي البناء الفني للقصة - توالت

---

(١) نظرات في أحسن القصص : ج ١ / ٣٠٥ .

(٢) سيكولوجية القصة في القرآن : ٥٢٠ .

(٣) نظرات في قصص القرآن : محمد قطب عبد العال : ١٥٣ ، رابطة العالم الإسلامي – مكة المكرمة ، السنة الحادية عشرة _ العدد (١٢٢) ، - (صفر ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م) .

الأحداث عليه ، فحسده إخوته على الفضل الذي خصّه الله تعالى به ، وكادوا له وألقوه في الجُبّ ، ولكنّ الله تعالى قدّر له النجاة ، ومكّن له في الأرض ، وعاش عزيزاً مُكرّماً في قصر عزيز مصر ، قال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١).

عاش يوسف – عليه السلام – في قصر العزيز ما قدّر الله تعالى له أن يعيش ، وكان العزيز يعامله معاملة الأب لابنه ، وكان شاباً بديع الجمال ، ففتنت به امرأة العزيز ، وراودته عن نفسه ، ولكنه أبى الوقوع في الفحشاء ، قال تعالى : ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (٢).

وبعد هذه الحادثة – وما تلاها من مواقف - استقر المقام بيوسف – عليه السلام – في السجن ، وهنا يبرز أثر الرؤيا مرة أخرى ، حيث انتقل " يوسف – عليه السلام – من صاحب رؤيا قابلة للتحقيق إلى معبر للرؤى صادق في تعبيره ، ويكون صدقه في تعبير ما رأى صاحبا السجن سبباً في اختياره لتعبير رؤيا الملك ، ذلك التعبير الذي كان سبب التمكين ليوسف ، ذلك التمكين الذي تنبأت به الرؤيا الافتتاحية ، فمفاصل الحدث القصصي مدرجة في سلسلة من الرؤى المحكمة النسج في سياق القصة " (٣).

---

(١) سورة يوسف : الآية (٢١) .

(٢) سورة يوسف : الآية (٢٣) .

(٣) دراسات نصية أدبية في القصة القرآنية : د . سليمان الطراونة : ٢٧٢ ، ط ١ (١٤١٣ هـ / ١٩٩٢م) .

وفي السجن وبين السجناء اشتهر يوسف – عليه السلام – " بالكرم والصدق والأمانة ، وكان معظم وقته في عبادة الله وطاعته ، وكان حسن السمت ، عارفاً بالتعبير ، يحسن إلى من معه في السجن ، فيعود مرضاهم ، ويقضي حاجاتهم ؛ فحببت هذه الصفات الحميدة يوسف إلى أهل السجن ... "[1] .

وكان قد دخل مع يوسف – عليه السلام – السجن فتيان ، من فتيان الملك ومماليكه ، وهما ساقيه وخبازه[2] ، ورأى كلٌّ منهما في منامه رؤيا ، فعرضاها عليه ، قال تعالى : ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[3] .

وفي قوله تعالى – على لسان الفتيين - : (إنا نراك من المحسنين) " تعليل لعرض رؤياهما عليه واستفسارهما منه - عليه السلام – ؛ أي نعتقدك ، (من المحسنين) ؛ أي من الذين يحسنون تأويل الرؤيا لمّا رأياه يقصّ عليه بعض أهل السجن رؤياه فيؤولها لهم تأويلاً حسناً ، وكان – عليه السلام – حين دخل السجن قد قال : إني أعبّر الرؤيا وأجيد أو من العلماء ... أو (من المحسنين) إلى أهل السجن ؛ أي فأحسن إلينا بكشف غمتنا ، إن كنت قادراً على ذلك "[4] .

والملاحظ أنه بعد أن استمع إليهما لم يسارع في تأويل رؤياهما ، بل نجده " يبدأ من حيث انتهيا ، فيطمئنهما إلى أنه سيؤول لهما رؤياهما تأويلاً صادقاً حقاً ؛

---

(١) نظرات في أحسن القصص : ج ١ / ٣٣٤ .

(٢) انظر : تفسير أبي السعود : مج ٢ / ج ٤ / ٢٧٥ .

(٣) سورة يوسف : الآية (٣٦) .

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : ج ١٢ / ٢٣٩ – ٢٤٠ .

لأن بمقدوره أن ينبئهما بما يغيب عنهما ، فينبئهما بما سيأتيهما من الطعام " [1] ، قال تعالى : ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ [2] .

استثمر يوسف – عليه السلام – إقبالهما عليه أحسن استثمار ، فعمل على تبليغ الرسالة ، وبث العقيدة السليمة ، وتأدية الأمانة ؛ وبذلك ضرب – عليه السلام – المثل في استثمار كلّ وقت وزمان وحال للدعوة إلى الله تعالى ، فوجوده في السجن لم يقف حائلاً أمام القيام بعمله وتأدية واجبه .

وبعد ذلك شرع – عليه السلام – في التأويل ، فصرّح بهلاك أحدهما ، وهو الخباز ، ونجاة الثاني ، وهو الساقي ، وأنه سيعود لخدمة الملك ، قال تعالى : ﴿ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ [3] .

وكان يوسف - عليه السلام - موقناً من صدق تأويله ، فطلب من الذي ظن أنّه ناج منهما أن يذكره عند الملك ، وصحّ تأويله ، فهلك أحدهما ، ونجا

---

(١) البيان القصصي في القرآن الكريم : د . إبراهيم عوضين : ٧١ ، دار الأصالة – الرياض ، ط ٢ (١٤١٠ هـ / ١٩٩٠) .

(٢) سورة يوسف : الآية (٣٧) .

(٣) سورة يوسف : الآيتان (٤١ – ٤٢) .

وفي السجن وبين السجناء اشتهر يوسف – عليه السلام – " بالكرم والصدق والأمانة ، وكان معظم وقته في عبادة الله وطاعته ، وكان حسن السمت ، عارفاً بالتعبير ، يحسن إلى من معه في السجن ، فيعود مرضاهم ، ويقضي حاجاتهم ؛ فحببت هذه الصفات الحميدة يوسف إلى أهل السجن ... "[1] .

وكان قد دخل مع يوسف – عليه السلام – السجن فتيان ، من فتيان الملك ومماليكه ، وهما ساقيه وخبازه [2] ، ورأى كلٌّ منهما في منامه رؤيا ، فعرضاها عليه ، قال تعالى : ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [3] .

وفي قوله تعالى – على لسان الفتيين - : (إنا نراك من المحسنين) " تعليل لعرض رؤياهما عليه واستفسارهما منه - عليه السلام – ؛ أي نعتقدك ، (من المحسنين) ؛ أي من الذين يحسنون تأويل الرؤيا لّما رأياه يقصّ عليه بعض أهل السجن رؤياه فيؤولها لهم تأويلاً حسناً ، وكان – عليه السلام – حين دخل السجن قد قال : إني أعبّر الرؤيا وأجيد أو من العلماء ... أو (من المحسنين) إلى أهل السجن ؛ أي فأحسن إلينا بكشف غمتنا ، إن كنت قادراً على ذلك "[4] .

والملاحظ أنه بعد أن استمع إليهما لم يسارع في تأويل رؤياهما ، بل نجده " يبدأ من حيث انتهيا ، فيطمئنهما إلى أنه سيؤول لهما رؤياهما تأويلاً صادقاً حقاً ؛

---

(١) نظرات في أحسن القصص : ج ١ / ٣٣٤ .

(٢) انظر : تفسير أبي السعود : مج ٢ / ج ٤ / ٢٧٥ .

(٣) سورة يوسف : الآية (٣٦) .

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : ج ١٢ / ٢٣٩ – ٢٤٠ .

لأن بمقدوره أن ينبئهما بما يغيب عنهما ، فينبئهما بما سيأتيهما من الطعام "[1] ، قال تعالى : ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾[2] .

استثمر يوسف – عليه السلام – إقبالهما عليه أحسن استثمار ، فعمل على تبليغ الرسالة ، وبث العقيدة السليمة ، وتأدية الأمانة ؛ وبذلك ضرب – عليه السلام – المثل في استثمار كلّ وقت وزمان وحال للدعوة إلى الله تعالى ، فوجوده في السجن لم يقف حائلاً أمام القيام بعمله وتأدية واجبه .

وبعد ذلك شرع – عليه السلام – في التأويل ، فصرّح بهلاك أحدهما ، وهو الخباز ، ونجاة الثاني ، وهو الساقي ، وأنه سيعود لخدمة الملك ، قال تعالى : ﴿ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾[3] .

وكان يوسف - عليه السلام - موقناً من صدق تأويله ، فطلب من الذي ظن أنه ناج منهما أن يذكره عند الملك ، وصحّ تأويله ، فهلك أحدهما ، ونجا

---

(١) البيان القصصي في القرآن الكريم : د . إبراهيم عوضين : ٧١ ، دار الأصالة – الرياض ، ط ٢ (١٤١٠ هـ / ١٩٩٠) .

(٢) سورة يوسف : الآية (٣٧) .

(٣) سورة يوسف : الآيتان (٤١ – ٤٢) .

الآخر ، وخرج من السجن ، ولكن الشيطان أنساه أن يذكره عند الملك ، فمكث يوسف – عليه السلام - في السجن بضع سنين .

ويوسف – عليه السلام - لم يُعين الهالك منهما كراهة التصريح للخباز بما يكره [1] . " وبهذا الأسلوب الحكيم عبّر يوسف الرؤيا دون أن يزعج واحداً منهما فقد أبهم الأمر ، ولم يقلْ أما أنت فسيحصل لك كذا وكذا ، وأما أنت فسيكون من أمرك كذا ، وبهذا الأسلوب منح كلّ واحد منهما حق التفكير بأنه قد يكون هو الذي سيُحظى بأن يكون ساقي الملك ، وإن خطر بباله أنه سيكون هو المصلوب ، فإنّ حُبّ الحياة الفطري في الإنسان سيجعله يتعلق به ، ويطرد من خياله شبح الصلب المخيف . وهكذا يكون يوسف – عليه السلام – قد بلّغ دعوته وعبّر الرؤيا لصاحبيها ، وأشاع في السجن الرهيب المخيف نوعاً من طمأنينة القلب وراحة البال ، لا يجدها الناس إلا في ظل العقيدة الصحيحة التي تربطهم بالله – عز وجل - ، وتجعل قلوبهم دائماً متطلعة إلى عفوه ورحمته " [2] .

كان اشتهار يوسف – عليه السلام – بتأويل الرؤى في السجن مطيته في الخروج منه ، والاتصال بالملك ، وتمكينه في الأرض . وفي هذا دلالة واضحة على اهتمام النّاس في ذلك العصر بالرؤى ، وقد منح الله تعالى يوسف – عليه السلام - هذه الميزة ، والتي كانت سبباً في خلاصه من السجن ، ووصوله إلى تلك المكانة الرفيعة .

- الرؤيا الرابعة :

ربطت الرؤيا التي رآها الفتيان في السجن بين يوسف – عليه السلام – في سجنه والملك في قصره ، فبعد مكوثه في السجن بضع سنين جاءت الرؤيا التي

---

(١) انظر : فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير : محمد بن علي الشوكاني : ج ٣ / ٢٨ - ٢٩ ، دار المعرفة – لبنان ، بدون تاريخ .

(٢) نظرات في أحسن القصص : ج ١ / ٣٤٠ .

رآها الملك في منامه ، والتي أفزعته وشغلته ، لتدفع الأحداث مرة أخرى نحو المصير الذي أراده الله تعالى ليوسف – عليه السلام – ، وما كان من الملك إلا أن جمع الملأ ، وطالبهم بتأويلها ، فعجزوا عن ذلك ، قال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴾ [1] .

وجوابهم بأنهم لا يعلمون تعبير الرؤى " إنما هو تمهيد وتعليل واقعي لإحياء ذكر يوسف والحديث عنه ، وإدخاله طرفاً مهماً في أحداث البلاد بعد أن أُدخل السجن ، وحيل بينه وبين الحياة العامة " [2] .

والسبب في وصفهم إياها بأنها أحلام كاذبة لا حقيقة يرجع إلى رفضهم الاعتراف بعجزهم عن تأويلها . وهذا العجز كان الباعث على إحياء ذكر يوسف – عليه السلام – في نفس الساقي ، والذي كان آنذاك من حاشية الملك ، فتذكّر يوسفَ بعد أن أنساه الشيطان ذكره ، وأخبرهم بأنه يعرف من يجيد تعبير الرؤى ، قال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴾ [3] .

وبالفعل ذهب إلى يوسف – عليه السلام – في سجنه ، وطلب منه تأويل رؤيا الملك ، والتي لم تعد تشغل الملك وحده ، بل أصبحت قضية عامة تشغل الناس عامة ، قال تعالى : ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ

---

(١) سورة يوسف : الآيتان (٤٣ – ٤٤) .

(٢) البيان القصصي في القرآن الكريم : ٩٩ .

(٣) سورة يوسف : الآية (٤٥) .

يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١) .

وعبّر – عليه السلام – الرؤيا ، وبين بوضوح لا لبس فيه المراد بالبقرات السمان والعجاف ، والسنبلات الخضر واليابسات . ولم يكتفِ – عليه السلام – بتأويل الرؤيا ، بل عمل على تقديم النصح والإرشاد للناس ، وإعطائهم الطريقة المثلى في التعامل مع الأزمة الاقتصادية التي سيتعرضون لها ؛ لأنه لم يكن مجرد معبر للرؤى ، بل كان رسولاً مصلحاً وداعياً إلى توحيد الله تعالى . وبعد أن سمع الملك تأويل الرؤيا ، والتدابير التي اقترحها يوسف – عليه السلام – لمواجهة تلك الأزمة (٢) – أدرك أنه أمام رجل حصيف راجح العقل ، يملك من المقومات ما يؤهله للقيام بأعمال جليلة ، ويحتل مكانة رفيعة ، فرغب الملك في أن يستخلصه لنفسه ، ويدنيه منه ، قال تعالى : ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ (٣) . ويرفض يوسف – عليه السلام – الخروج من السجن – على الرغم من السنوات التي قضاها فيه – قبل ظهور براءته من الفرية التي لحقت به ؛ فيوسف – عليه السلام – أراد أن يخرج من السجن بعد أن يحصل على براءته ، وليس لمجرد أنّ الملك قد تفضل عليه ، وأخرجه من السجن مكافأة له على تأويل الرؤيا ، وبالفعل تم ليوسف – عليه السلام – ما أراد ، حيث سأل

---

(١) سورة يوسف : الآية (٤٦) .

(٢) انظر : سورة يوسف : الآيات (٤٧ – ٤٩) .

(٣) سورة يوسف : الآية (٥٠) .

الملك النسوة عن أمرهن مع يوسف ، قال تعالى : ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ ۚ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ ۚ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [1] .

وبعد ظهور براءته طلب الملك مرة أخرى أن يحضروه إليه ؛ ليستخلصه لنفسه وبالفعل خرج يوسف من السجن ، وطلب من الملك أن يجعله على خزائن الأرض ، وكان له ما أراد [2] .

حرّكت الرؤيا التي رآها الملك في منامه الأحداث ، ونقلت يوسف – عليه السلام - من السجن إلى قصر الملك ، والذي جعله على خزائن الأرض ، ويشاء الله تعالى أن يجمع يوسف بأهله في مصر ، فيدخلوا عليه ، ويُذكّر يوسف أباه برؤياه التي رآها في صغره ، ويخر أبواه وإخواته له ساجدين ، وبذلك السجود تحققت الرؤيا ، إذ انتقلت من مجرد رؤيا شغلت خاطره إلى واقع حقيقي ملموس ، " لقد كانت البداية في ضمير الغيب ، وأصبحت النهاية واقعاً حقاً ؛ فقد سجد الأب والأم والإخوة الأحد عشر ليوسف ، وانفك الغموض ، وكانت النهاية وخاتمة القصة " [3] .

ابتدأت قصة يوسف – عليه السلام – برؤيا محورية بنيت عليها القصة برمتها وفي سياق تلك الرؤيا " وقعت رؤى ثلاث ، ألمحت بتحققها إلى دفع الأحداث كي تحقق الرؤيا المحورية ، إذ نجد رؤيتي الفتيين اللذين أولجا السجن مع يوسف ،

---

(١) سورة يوسف : الآية (٥١) .

(٢) انظر : سورة يوسف : الآيات (٥٤ – ٥٧) .

(٣) نظرات في قصص القرآن : ١٦٩ .

حيث أطلعنا السرد على مصيرهما ، من حيث إن أحدهما سيسقي الملك خمراً ، وسيصلب الثاني ، وليرشد الذي نجا الملك إلى يوسف . وتحققت كذلك رؤيا الملك بالكيفية التي أولها يوسف حين لجأ إليه الملك ... وبذلك التحقق تظهر فعالية هذا الأسلوب المعجز المغيب الذي ساق به السرد القصصي القرآني الأحداث ، من رؤيا ، ثم أحداث ، ثم تحقق الرؤيا "[1] .

لقد ظهر بوضوح الأثر العظيم للرؤيا في تشكيل الأحداث ، وتطويرها ، وتوجيهها ، والربط بينها ، وفي الكشف عن شخصية يوسف – عليه السلام - وبالإضافة إلى ذلك فإنها أضفت على القصة مزيداً من التشويق والإثارة .

* * *

(١) البنية السردية في القصص القرآني : ٣١ .

المبحث الثالث : الرؤيا في سيرة رسول الله محمد ﷺ :

جاءت الرؤيا في سيرة رسول الله محمد ﷺ في القرآن الكريم في موضعين ، وهما :

- الموضع الأول : في قصة موقعة بدر الكبرى في سورة الأنفال . والموضع الثاني : في قصة صلح الحديبية في سورة الفتح .

- **الموضع الأول :**

كانت الرؤيا الأولى في سيرة رسول الله محمد ﷺ في سورة الأنفال ، وهي سورة مدنية نزلت " في غزوة بدر الكبرى في شهر رمضان من العام الثاني للهجرة بعد تسعة عشر شهراً من الهجرة على الأرجح "[1] .

حدثت هذه الرؤيا قبل احتدام القتال بين الطائفتين : المسلمة والكافرة ، حيث شرع رسول الله ﷺ في تعديل صفوف المسلمين في مواجهة جيش الكفر ، ودخل العريش الذي أعدّه له أصحابه – رضي الله عنهم أجمعين - ، وكان معه أبو بكر الصديق – رضي الله عنه ، وأخذ الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو ربه أن يحقق النصر للعصبة المؤمنة ، وفي تلك الأثناء أخذته سِنة خفيفة ، أراه الله تعالى رؤيا بشرته بالنصر ، وأظهرت حال المعسكرين : المسلم والكافر[2] ، قال تعالى : ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ

---

(١) في ظلال القرآن : مج ٣ / ١٤٢٩ .

(٢) انظر : السيرة النبوية : لابن هشام : تحقيق طه عبد الرؤوف سعد : ج ٣ / ١٧٤ ، دار الجيل – بيروت ط ١ (١٤١١هـ / ١٩٩١ م) .

أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ (١) .

رأى الرسول ﷺ في منامه المشركين قلة لا حول لهم ولا قوة ، فقصّ رؤياه على أصحابه – رضي الله عنهم أجمعين ، وكان ذلك باعثاً على تثبيتهم في أرض المعركة ، وتشجيعهم على خوض القتال في أول مواجهة بين معسكري الإيمان والكفر ، وكان المسلمون أقلَّ عدداً وعدة من عدوهم .

وكانت هذه الرؤيا تدبيراً من الله تعالى الذي " يعلم بذوات الصدور ، فلطف بالعصبة المسلمة أن يعرّضها لما يعلمه من ضعفها في ذلك الموقف ؛ فأرى نبيه المشركين في رؤياه قليلاً ، ولم يرهم إياه كثيراً .

والرؤيا صادقة في دلالتها الحقيقية ، فقد رآهم رسول الله ﷺ قليلاً ، وهم كثير عددهم ، ولكن قليل غناؤهم ، قليل وزنهم في المعركة ، قلوبهم خواء من الإدراك الواسع ، والإيمان الدافع ، والزاد النافع . وهذه الحقيقة الواقعة – من وراء الظاهر الخادع – هي التي أراها الله لرسوله ؛ فأدخل بها الطمأنينة على قلوب العصبة المؤمنة . والله عليم بسرائرهم ، مطلع على قلة عددهم ، من ضعف المواجهة ، وتنازع الالتحام أو الإحجام . وكان هذا تدبيراً من تدبير الله العليم بذوات الصدور " (٢) .

وكان من تدبير الله تعالى تحقق هذه الرؤيا على أرض المعركة ، إذ أرى الله تعالى المسلمين الكفار قلة ؛ حتى يثبتوا في القتال ويتشجعوا على لقاء عدو الله

---

(١) سورة الأنفال : الآيتان (٤٣ – ٤٤) .

(٢) في ظلال القرآن : مج ٣ / ١٥٢٦ – ١٥٢٧ .

وعدوهم ، وأرى الكفار المسلمين قلة ، حتى يغريهم بقتالهم ، لقد أغرى الله تعالى كل فريق بقتال خصمه ، فكان المسلمون يرون خصمهم بعين الحقيقة ، والكفار يرون المسلمين بعين الظاهر ، وبذلك تحقق التدبير الإلهي ، وانتصر المسلمون [1] .

تعدّ الرؤيا في هذه القصة بمثابة البشارة للرسول ﷺ ، وللعصبة المؤمنة ، إذ تولت الرؤيا الإشارة إلى الأحداث التي تلتها ، والمتمثلة في تحقيق النصر على الأعداء ، وعملت على تثبيت الرسول وأصحابه – رضوان الله عنهم أجمعين – ، وتشجيعهم على خوض القتال ، وبخاصة أن غزوة بدر الكبرى أول مواجهة حربية حقيقية بين معسكري الإيمان والكفر ، وقد أظهر القرآن الكريم حالهم قبل خوض المعركة في مواقف عدة من سورة الأنفال ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [2] ، وقوله عزّ من قائل : ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾ [3] .

ومن ناحية أخرى كان للرؤيا أثرها الكبير في بناء هذه القصة ، وعملت على توجيه أحداثها ، ودفعها نحو نقطة النهاية ، وبدت جزءاً مؤثراً وأصيلاً في الأحدث

---

(١) انظر : المرجع السابق : مج ٣ / ١٥٢٦ .

(٢) سورة الأنفال : الآية (٧) .

(٣) سورة الأنفال : الآية (١١) .

وكشفت عن الحالة النفسية للشخصيات من المعسكرين : المؤمن والكافر ، وكانت " صادقة في دلالتها ، وليست مجرد ارتباط بين مقدمات ونتائج ، أو نتيجة لأمر يترقبه الحالم أو يرغب فيه "[1] .

- **الموضع الثاني :**

جاءت الرؤيا الثانية في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في سورة الفتح ، وهي سورة مدنية " نزلت في السنة السادسة من الهجرة ، عقب صلح الحديبية ، وهي تتناول هذا الحادث الخطير وملابساته ، وتصور حالة الجماعة المسلمة وما حولها في إبانة ... "[2] .

كان كفار قريش قد منعوا رسول الله ﷺ وأصحابه – رضي الله عنهم أجمعين – من دخول مكة المكرمة ، حتى في الأشهر الحرم ، وفي العام السادس من الهجرة رأى الرسول ﷺ في منامه أنه يدخل المسجد الحرام مع أصحابه محلقين رؤوسهم ، وحدّث – عليه الصلاة والسلام – أصحابه بهذه الرؤيا ، فاستبشروا بها وفرحوا ، وخرج الرسول ﷺ وأصحابه – رضي الله عنهم أجمعين – إلى مكة المكرمة معتمرين ، فردتهم قريش ، وعقد الرسول ﷺ مع قريش صلح الحديبية ، وهال بعض المؤمنين الذين خرجوا مع الرسول ﷺ أن يُمنعوا من دخول مكة المكرمة ، وألا تتحقق رؤيا الرسول ﷺ . وفي العام الذي يليه ، وبحسب الصلح الذي تم بين الفريقين ، دخل الرسول ﷺ ومعه أصحابه – رضي الله عنهم أجمعين – مكة المكرمة معتمرين ، وخرج رؤوس الكفر منها ، وبذلك تحققت

---

(١) البنية السردية في القصص القرآني : ٣٢ – ٣٣ .

(٢) في ظلال القرآن : مج ٦ / ٣٣٠٦ .

الرؤيا ، وتحقق وعد الله تعالى ، وكان الفتح في العام الذي يليه [1] ، قال تعالى : ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [2] .

كان الرسول ﷺ وأصحابه – رضي الله عنهم أجمعين – في تلك الفترة الحرجة يتطلعون بشوق إلى الذهاب إلى مكة المكرمة ، وجاءت هذه الرؤيا كاشفة عمّا يختلج في نفوسهم من شوق وترقب لدخول الكعبة ، وحينما علموا بأمر تلك الرؤيا ظنوا أنهم سيدخلونها في ذلك العام ، ولكن شاء الله تعالى ألا يتحقق الوعد في تلك السنة ، وتحقق الوعد والرؤيا في العام الذي يليه ، وكان فتح مكة المكرمة ، بعد ذلك ، فضلاً من الله تعالى . وأبانت الرؤيا الإيمان الراسخ العميق في نفوس المؤمنين ، الذين ما كان منهم إلا أن صدّقوا الرؤيا ، وأيقنوا بحتمية دخول مكة المكرمة ، فالرؤيا كانت لهم بمثابة البشارة من الله تعالى ، أما الذين تخلفوا عن الخروج مع الرسول ﷺ من المنافقين وبعض ضعاف الإيمان ، فقال الله تعالى عنهم : ﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [3] .

بشّرت الرؤيا في هذه القصة الكريمة الرسول ﷺ وصحبه الكرام – رضي الله عنهم أجمعين – بدخول المسجد الحرام ، وأبانت بجلاء الحالة النفسية العصيبة

---

(١) انظر : السيرة النبوية : لابن هشام : ج ٤ / ٢٧٥ – ٢٩٦ .

(٢) سورة الفتح : الآية (٢٧) .

(٣) سورة الفتح : الآية (١١) .

التي عاشوها في تلك الأثناء ، فأظهرت الشوق البالغ الذي كان يختلج في نفوس العصبة المؤمنة لدخول مكة المكرمة ، ويضاف إلى ذلك أنّها واكبت الأحداث ووجهتها وطورتها ، وكشفت عن النهاية السعيدة التي آلت إليها الأحداث في النهاية ، حيث تحققت الرؤيا بالكيفية التي جاءت في القرآن الكريم .

* * *

الخاتمة :

وأخيراً فهذه الدراسة محاولة متواضعة للكشف عن بعض وجوه الإعجاز في القصة القرآنية ، والتي تمكنت ببراعة من تحقيق أهدافها الدينية والدنيوية بأسلوب فني غاية في الإعجاز والإحكام . وكانت الرؤيا من الوسائل الناجعة التي استعانت بها القصة القرآنية في تحقيق تلك الأهداف .

والرؤيا في القصة القرآنية جاءت في ثلاث قصص من قصص الأنبياء – عليهم السلام ؛ ففي سورة الصافات تمثل الرؤيا التي رآها إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – وما تلاها من مواقف حدثاً متكاملاً له بداية ووسط ونهاية ، وحملت هذه الرؤيا أمراً لإبراهيم – عليه الصلاة والسلام – يتطلب التنفيذ ، وعلى الرغم من المشقة الواضحة فيه وصعوبة تنفيذه من قبل الأب والابن إلا أنهما يقدمان بكل إيمان وطاعة وتسليم على تنفيذه ، وينجحان في تغليب طاعة الله تعالى على كل العواطف الدنيوية .

وفي قصة يوسف جاءت الرؤيا في أربعة مواضع ، حيث بدأت القصة برؤيا وانتهت بتحققها ، وكان سجود أبويه وإخوته له تأويلاً صريحاً لتلك الرؤيا التي رآها في صباه ، وبين البداية والنهاية ، أسهمت الرؤيا في تحريك الأحداث وتطويرها ، وصاحبت الرؤيا يوسف – عليه السلام – في سجنه ، وكانت سبباً في خروجه منه ، وبلوغه المنزلة الرفيعة والمكانة العالية لدى الملك .

أما في سيرة رسول الله محمد ﷺ فجاءت الرؤيا في قصة معركة بدر الكبرى في سورة الأنفال ، وفي قصة صلح الحديبية في سورة الفتح ، وفي كلا الموضعين كانت الرؤيا بمثابة البشارة للرسول ﷺ وللعصبة المؤمنة ، وكاشفة عن النهاية التي آلت إليها الأحداث ، حيث تحقق النصر في معركة بدر بالكيفية التي جاءت في الرؤيا ،

وكان دخول الرسول ﷺ وأصحابه –رضوان الله عنهم أجمعين – مكة المكرمة في العام الذي تلا صلح الحديبية معتمرين ، وكان فتح مكة المكرمة بعد ذلك فضلاً من الله تعالى .

وبذلك سارت الرؤيا في القصة القرآنية في الخط نفسه الذي سارت فيه الأحداث ، وبدت عنصراً أصيلاً ومؤثراً ومعبراً عن المواقف المختلفة .

* * *